

## حول نعت الدّعوة الفاطمية بـ " التّشريق " ونعت الدّاخلين فيها بـ " المشاركة "

عمر بن حمادي  
كلية الآداب - منوبة

تعرض المطالع للمصادر المغربية التي وصلتنا بداية من القرن الرابع الهجري ، وخاصة منها كتب الحوليات ، وكتب التّراجم والطبقات المتحدّثة عن الفاطميين وعن الدّاخلين في دعوتهم ، عبارات لا يمكن أن لا تشير انتباهنا. فكثيرا ما استعملت هذه المصادر في شأنهم عبارات : « تشرّق » أو « شرّق » ؛ وكثيرا ما نعتهم بـ « المشاركة » .

وبالفعل ، أثارت هذه العبارات اهتمام عدد من الباحثين ، فتوقّفوا عندها ليُشيروا إلى ذلك الاستعمال وليلفتوا النّظر إليه <sup>(1)</sup> ، مع محاولة بعضهم التوقّف عند موضوع الأصل فيه وكيف ظهر . فذلك ما قام به مثلا المستشرق الكبير R. Dozy ومنذ مدّة . فذكر أنّ اتّباع الأفكار الشيعيّة سمّي بالتّشريق لأنّ الدّعوة إليها تمّت من طرف رجل قدم من المشرق ، والمقصود هو بالطبع الدّاعي المعروف أبا عبد الله الصنعاني <sup>(2)</sup> .

(1) E I 2, T VI, p 701 : *Mashàrika* (Md. Taibi).

(2) R. Dozy, *supplément aux dictionnaires arabes*, Leyde 1881, T.I. , p 751.

وقد استقى R. Dozy هذا التفسير من عدد من المصادر قام بالإحالة عليها ، وهي خاصة : ابن عذاري المراكشي في " البيان المغرب " ، وابن الأثير في " الكامل " ، والنويري في " نهاية الأرب " <sup>(3)</sup> . لكن هذه المصادر لم تكن في الحقيقة سوى ناقلة للتفسير الذي يُقدّمه مصدر شيعي . لم يشر إليه R. Dozy . وهو كتاب " افتتاح الدعوة " للقاضي النعمان بن حيون ، قاضي الفاطميين المشهور .

فنحن نجد في هذا الكتاب ما يلي : « واشتهر أمر أبي عبد الله ببلد كتامة ، وتسمّى المشرقي لقدمه من المشرق ، ثم نسب إليه كل من بايعه ودخل في دعوته ، وسَمّوا المشاركة . وإذا دخل الواحد منهم في ذلك قيل : تشرق » <sup>(4)</sup> .

فالأمر واضح وبسيط ويبدو معقولا . غير أنني كنت دائما غير مرتاح لبساطة هذا التفسير ، وغير مرتاح أكثر لاحتواء أهل السنة - إذا أنّ ذلك ما نلاحظه - لهذه العبارات وتشبّثهم بها إذا ما كانت لها المعاني التي ذكرها القاضي النعمان . فعند التّثبت يبدو لنا ذلك التفسير غير مقنع أو غير مقنع لوحده على الأقل .

لذلك حاولت البحث في هذا الموضوع ، وذلك بالتّوقّف أولاً عند هذه النقطة بالذات ، أي استعمال أهل السنة لعبارة " تشرق " لنعت دعوة الفاطميين الشيعة ؛ ثم بالبحث عمّا إذا لم توجد معاني أخرى ، أو اتّهامات أراد أهل السنة تحميلها لهذه العبارة .

---

(3) نفس الإحالة .

(4) القاضي النعمان بن حيون ، افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوي ، ط 2 ، تونس 1986 ، ص 79 .

## I - استعمال أهل السنة لهذه العبارات :

تجب الإشارة أولاً في هذا المجال إلى أن استعمال عبارات : " مشاركة " و " مشرقيّ " و " تشرّق " ... لنعت الفاطميين وأتباعهم هو استعمال لا نجده إلاّ عند مصادرنا السنيّة . أمّا المصادر الشيعيّة فقد تجنّبتّه ، واستعملت عبارات أخرى ك : " مؤمنين " و " آمن " <sup>(5)</sup> و " أهل الحقّ " <sup>(6)</sup> و " أولياء " <sup>(7)</sup> ... كلّما تعلّق الأمر بالداخلين في الدّعوة الفاطمية .

والأمثلة كثيرة على استعمال أهل السّنة للعبارات المذكورة ؛ وقد أشار الأستاذ محمد الطالبي إلى عدد من مواطنها <sup>(8)</sup> . فنذكر مثلاً ما يورده ابن عذاري المراكشي في سياق حديثه عن سنة 303 هـ حيث يقول : وفيها « مات خلف بن معمر بن منصور ، من الفقهاء العراقيين ، وكان يروي عن أبيه عن سعد بن الفرات . وكان قد تشرّق أول دخول الشيعة إفريقيا ... » <sup>(9)</sup> .

كما نذكر ما يخبرنا به أبو بكر المالكي في " رياض النفوس " في شأن أحد مؤدّبي الكتاتيب بالقيروان ، وهو أبو بكر بن يحيى الهواري ، فقال إنّه أبتلي برجل مشرقيّ يقف بإزاء كتابه فيسبّ أبا بكر وعمر... » <sup>(10)</sup> .

(5) نفس المصدر، ص 81 ، 87 .

(6) القاضي التّعمان بن حيون ، المجالس والمسائرات ، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شُبّوح ومحمد اليعلاوي ، تونس 1978 ، ص 511 .

(7) القاضي التّعمان ، افتتاح ، ص 84 ، 87 ، 94 ، 95 ، 97 ، 108 ...

(8) محمد الطالبي ، البحث أعلاه .

(9) ابن عذاري المراكشي البيان المغرب ، ط 2 ، بيروت 1980 ، ج I ، ص 173 .

(10) أبو بكر المالكي ، رياض النفوس ، تحقيق البشير البكوش ، بيروت 1981 ، ج II ، ص 425 .

وفي كلّ ذلك تُفيد عبارات " تشرّق " و " مشرقيّ " الإلتحاق بصفوف الشيعة الفاطميين والإلتواء إلى مذهبهم ، وهو ما يبرز بوضوح تام من حديث لصاحب كتاب " معالم الإيمان " جاء فيه أنّ أحد ولّاء القيروان في عهد الفاطميين - وهو أبو عبد الله المختار - كان حريصا على نشر آراء الشيعة و « شدّد في طلب العلماء ليسرّ قههم »<sup>(11)</sup> ، أي ليُدخلهم في صفوفهم .

وقد كنت أشرت إلى التفسير الذي يُقدّم للأصل في هذا الإستعمال : فأبو عبد الله الصنعاني مشرقي ، لذا يُسمّي أتباعه بالمشاركة ، والتصقت التسمية بكل الدّاخلين في الدّعوة الفاطمية ؛ لكنّي أشرت كذلك إلى مبعث الحيرة التي قد تتولد عند الإكتفاء بهذا التفسير .

فحسب هذا التفسير تكون التسمية قد وُلدت مع الحركة منذ بدايتها ، أي في جبال كتامة ، في وسط قبيل على العموم ووجود أبي عبد الله ، رغم أنّه لا يمكن الشكّ في وجود من عارضه في نشاطه ووقف ضده . فلتُميّز أصحابه سمّوا بالتابعين للمشرقي ، ومنها " مشاركة " .

فقد يكون ذلك هو المنطلق ، والأمر مقبول . لكن ما لا يمكن قبوله في نظري هو كيف وقع احتواء هذه العبارة فيما بعد من طرف الفريق السنّي بعلمائه وكتابه لينعت بها الدّاخلين في الدّعوة الفاطمية وهي قد انتصرت وأصبح الصّراع معها أكثر اتّساعا وعمقا . فالشّحنة التي تحتويها - إذا ما اكتفينا بالتفسير الذي يُقدّمه القاضي النعمان - لا تتماشى البتّة وما يريده أهل السنّة عند استعمالهم لها . فهي عندهم مُرادفة للكفر وللخروج عن الدّين . بل كثيرا ما تلازمت عبارات " مشرقي " أو " تشرّق " بعبارات " كفر " أو " مروق عن الإسلام " .

---

(11) ابن ناجي ، معالم الإيمان ، ج III ، تحقيق محمد ماضور ، تونس 1978 ، ص 91 .

ففي الحديث عن القاضي الروذي - أول قضاة الشيعة بالقيروان - وعن الإجراءات التي قام باتخاذها عند تولّيه ، يذكر المالكي أنّ هذا القاضي « أمر الفقهاء أن لا يفتوا ولا يكتبوا وثيقة إلّا من تشرّق وكفر » (12) .

كما يحدثنا المالكي عن أبي إسحاق السبائي ، فقيه القيروان ومتعبّدها من أهل السنّة ، وعن قدراته في الرقيّة والمداواة ، فيذكر أنّ من الذين عاجلهم السبائي « رجل مشرقي بمن مرق في الإسلام [ أتاه ] وبعينه وجع » (13) .

فلا اعتقد أنّنا نخطئ إذا ما ساورنا الشكّ في قدرة عبارة " مشرقي " أو " تشرّق " على أداء مثل هذه المعاني إذا ما قبلنا التفسير الذي يقدّم لها .

ثم أن قبول فكرة أنّ أهل السنّة لقبوا الشيعة الفاطميين بالمشاركة لأنهم اتبعوا رجلا من المشرق يجعلنا في مأزق كبير لما في ذلك من تجاهل لحقائق لا يمكن تجاهلها .

فكيف نقبل أن يستعمل علماء أهل السنّة عبارة " مشاركة " في ذلك المعنى ليتناسوا بذلك حقيقة لا يمكن لمن بلغ مرتبتهم أن يتناساها ، وهي أنّ كل التيارات الفكرية والمذهبية حتى تلك الفترة هي تيارات مشرقيّة ؛ وأنّ كبار الشخصيات التي أسست الدّول التي قامت في المنطقة حتى ذلك

---

(12) المالكي ، المصدر المذكور ، ص 56 . والقاضي الروذي (أو الروزي كما هو عند ابن عذاري) هو محمد بن عمر بن يحيى بن عبد الله ، ولّاه الداعي أبو عبد الله الصنعاني قضاء القيروان عند دخول الشيعة ، فكان أول قضاتهم بها . انظر المالكي ، نفس المصدر ، ص 55 ، ابن عذاري ، المصدر أعلاه ، ص 151 .

(13) المالكي ، نفس المصدر ، ص 502 . والسبائي هو أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد من أشهر متعبدى القيروان ، توفي سنة 356 هـ . انظر : المالكي ، نفس المصدر ، ص 469 .

التاريخ هي شخصيات مشرقية : فإبراهيم بن الأغلب مشرقي ، وعبد الرحمان بن رسم مشرقي ، وإدريس الأول مشرقي : كذلك المذهب المالكي ، والخارجي ، بل والإسلام نفسه مشرقي . فاستعمال عبارة " مشاركة " على أساس أتباع الذين يُوصفون بها لرجل قادم من المشرق يصبح عندئذ لا تهجّما ، بل بالعكس متضمّنا لنوع المدح . فقد اتبعوا رجلا مشرقيا أي من موطن كبار العلماء والشخصيات ومن موطن منابع الفكر .

في نفس الوقت ، كيف نقبل أن يحتوي أهل السنة هذه العبارة ، وبذلك المعنى ، وهم قد أصبحوا يمتلكون آنذاك زادا هاما من العبارات التي كان بإمكانها أن تؤدّي ، وبقوّة ، معاني الكفر والمروق عن الدين التي يريدون رمي الفاطميين وأتباعهم بها : وما من شكّ في أن أبرز العبارات في ذلك الزّاد هي عبارات : " الرّافضة " و " التّرقّض " . وهي من العبارات القويّة ، والتي توحي بالمعاني وبالأهداف المرادة منها دون جهد كبير ، ثم هي من العبارات التي تليّن بسهولة لكلّ الاشتقاقات اللغوية التي قد تُطلب منها .

فقد كانت عبارة " الرّافضة " موجودة ومستعملة قبل قيام الفاطميين . فأحمد بن حنبل المتوفى سنة 241 هـ (855 م) يوردها في أحد الأحاديث التي يتضمّنها مسنده ، حيث نجد : « قال علي بن أبي طالب ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : يظهر في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة يرفضون الإسلام » <sup>(14)</sup> .

بل أنّ أهل السنة استعملوا هذه العبارة في شأن الفاطميين بإفريقية . ففي الاجتماع الذي ناقش فيه علماء المالكية أمر الانضمام الى ثورة الخوارج تحت قيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد سنة 333 هـ (944 م) ذكر

---

(14) أحمد بن حنبل ، المسند ، ج I ، ص 103 .

أبو بكر المالكي في كتابه " رياض النفوس " أنّ أبا العرب التميمي - المؤلف المشهور صاحب كتاب " طبقات علماء القيروان " ، وأحد زعماء السّنة آنذاك قام خطيباً فقال : « حدثني عيسى بن مسكين عن محمد بن عبد الله بن سنجر يرفعه الى النّبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال : يكون في آخر الزّمان قوم يسمّون الرّافضة ، فإن أدركتموهم فاقتلوهم ، فإنّهم كفّار » <sup>(15)</sup> . وهو بذلك يحثّ على الثّورة ضدّ الفاطميين .

ويؤكّد القاضي عياض هذا الإستعمال ، فهو يذكر في ترجمته لزعيم آخر من زعماء هذا الإجتماع ، وهو ربيع القطان المتعبّد المشهور ، أنّه كان « ممن عقد الخروج لغزو الرّوافض » <sup>(16)</sup> .

لكن استعمال عبارات " الرّافضة " أو " الرّوافض " لم يتكرّر كثيراً في كتابات علماء السّنة بإفريقية ، ولم يبلغ عندهم مبلغ استعمالهم لعبارات " تشرّق " و " مشاركة " وكأنّها عبارات تمتلك قدرات أكبر على أداء معاني الكفر والمروق عن الإسلام .

قد يبقى الإعتقاد عندئذ في أن أهل السّنة قد استعملوا عبارة " مشاركة " لما فيها من تذكير بأنّ أبا عبد الله الصنعاني أجنبي عن البلاد وليست له أصول بها ، وليُنظر إلى أتباعه وإلى الدّولة التي انبثقت عن

---

(15) المالكي ، المصدر اعلاه ، ص 309 .

(16) عياض ، ترتيب المدارك ، نشر محمد بكير ، ج IV - III ، ص 330 . وربيّع القطان هو أبو سليمان ربيع بن عطاء الله ، من فقهاء القيروان وكبار عبّادها . وصفه عياض فقال : كان لسان إفريقية في زمانه في الزّهد . توفي سنة 334 / 945 أثناء حصار المهدية من طرف جيوش أبي يزيد مخلد بن كيداد ، وكان من ضمنها .  
انظر : عياض ، نفس المصدر ، ص 329 ، المالكي ، المصدر المذكور ، ص 393 ، رقم 235 .

حركته النظرة ذاتها . غير أنني أعتقد أنه من الصعب أن ننزل في مثل هذه التأويلات .

فهل وُجد تفكير في تلك الفترة يعتنق مثل هذه الإعتبارات ، ثم وخاصة هل كان لعلماء الدين تفكير يهتم فقط بالمستوى الجهوي . فكل الدلائل تشير إلى أن تفكيرهم كان دائما على مستوى دار الإسلام ككل .

إضافة إلى كل ذلك مازالت الروابط أواخر القرن الثالث الهجري ومنتصف القرن الرابع قوية بين المشرق والمغرب ، ومازالت العائلات العربية التي استقرت مؤسسوها بالمغرب محتفظة آنذاك بروابط عاطفية - وربما حتى دموية - متينة بالمشرق . هذا فضلا عن ارتباط علماء السنة روحيا وسياسيا بالخلافة العباسية ، وهي بالمشرق . ولا بأس من التذكير في هذا الصدد بأن زيادة الله الثالث ، آخر الأغالبة بالقيروان ، لم يجد من الحلّ أمام نجاح أبي عبد الله الصنعاني سوى حمل أمتعته والعودة إلى المشرق <sup>(17)</sup> .

لكل ذلك يمكن القول أنه اعتمادا على التفسير الذي يُعطى لها لا تتلاءم هذه العبارة ومعاني التهجم والتكفير التي يهدف إليها أهل السنة من وراء استعمالهم لها ، وأنه كانت بحوزتهم عبارات أخرى أقوى وأقدر على تأدية مثل تلك المعاني .

لكن وفي نفس الوقت لا يمكن الشك في الإستعمال المكثف الذي أبداه أهل السنة لهذه العبارة . بل يمكننا ، ونحن نطالع كتاباتهم أن نلمس نوعا من التمسك ، بل ربما ومن الإعجاب بها ، وكأنها أكثر العبارات قدرة على تأدية معاني الكفر والمروق عن الدين كما ذكرنا .

---

(17) انظر محمد الطالبي ، الدولة الاغلبية ، نقله إلى العربية المنجي الصيادي ، بيروت 1985 ص 743 .



فمن المثير للإنتباه في هذا الموضوع ذلك الباب الذي وضعه أبو عبد الله الخشني في كتابه " طبقات علماء إفريقية " ، والذي أعطاه كعنوان : " باب ذكر من شرق من كان يُنسب إلى علم من أهل القيروان " (18) .

والخشني بشخصية لا بدّ من التوقف عندها في موضوعنا هذا ، لنقول أنّه الأكثر تصويراً لتفكير كتاب أهل السّنة وعلمائهم في العهد الفاطمي بمناطق المغرب إذ أنّ حياته في مجملها توافق زمنياً هذا العهد الذي بدأ سنة 296 هـ (909 م) وانتهى بانتقال الفاطميين إلى مصر سنة 361 هـ (972 م) في حين توفي الخشني سنة 362 هـ (973 م) أو 364 هـ (975 م) ؛ وإن كنّا لا نعرف تاريخ ولادته ، فالمعروف أنّه انتقل صغير السنّ إلى الأندلس سنة 311 هـ (923 م) (19) . وعند الخشني نجد الإستعمال الأكثر كثافة لعبارات " شرق " ، و " مشاركة " ، و " تشريق " .

لذلك ، أعود لأقول أنّ مباحث الخيرة كثيرة في احتواء أهل السّنة لهذه العبارة واستعمالهم لها . وعندئذ لا بدّ من البحث عمّا إذا لم يوجد تفسير آخر لها ، أو على الأقل إذا لم توجد إichاءات أخرى هدّاف إليها أهل السّنة من وراء هذا الإستعمال ، وهو ما سنحاول القيام به في الشطر الثاني من هذا العمل .

## II - هل وُجدت معاني أخرى حمّلت لعبارة ، "تشرق" ؟

أريد أن أنبه أولاً إلى أنّ هذا العمل لا يرفض البتّة التفسير الذي يُقدّمه القاضي النعمان في " افتتاح الدّعوة " . فهذا المصدر جدّي ، ورفض ذلك التفسير يُعدّ تجنّياً على المصادر .

---

(18) أبو العرب ، طبقات علماء إفريقية ، تحقيق محمد بن شنب ، دار الكتاب اللبناني ، د . ت ، ص 223 .

(19) انظر ترجمة الخشني : عياض ، المصدر اعلاه ، ص 531 .

ثم أنّ التفسير المُقدّم مقبول وقد يُقنع البعض . لكن الذي لا نقبله هو، كما ذكرت ، كيف احتوى أهل السنّة تلك العبارة إذا ما كانت مُكتفية بحمل المعنى الذي انطلقت به ؟ !

فما نريده إذن ، هو بالتالي البحث عمّا إذا كانت هذه العبارة موحية في نفس الوقت باتهامات أخرى أكثر قوّة و " شناعة " ، ومؤدّية فعلا إلى " الكفر " و " الروق عن الدّين " ، سواء كانت هذه الاتّهامات مُرتبطة بالعبارة من قبل أن تنتصر الحركة الفاطمية ، أو التصقت بها عند ظهورها ، أو أصبحت لها بعد انتصارها ، لتكون هي المعاني التي رمى إليها أهل السنّة من وراء استعمالهم لعبارة " تشريق " والعبارات المشتقة منها (20) .

ولنُجب من الآن بأنّا لم نتحصّل على نتيجة يُمكن أن نثق بها الوثوق كلّه في هذا الموضوع ، أي أنّنا لم نعثر على تفسير آخر يكون في نفس مستوى الوضوح الذي فسّر به القاضي النعمان الأصل في معنى عبارة " مشاركة " ، وليقول لنا أنّ هذه العبارة كانت لها معاني أخرى في منظار أهل السنّة وأنّ هذه المعاني هي التي كانوا يهدفون إليها . فحتى ابن عذاري الذي يُمثّل أحد أبرز مصادرنا حول تاريخ بلاد المغرب في العصر الوسيط إن لم يكن أبرزها بالفعل ، والذي لا يُخفي تعصّبه ضدّ الشيعة - نجده يكرّر نفس التفسير الذي يُقدّمه القاضي النعمان (21) .

لكن رغم ذلك تبين لنا من خلال بعض المعطيات أنّ عبارة " تشريق " قد لا تكون بريئة من تُهم أخرى غير " تُهمة " الاتّباع لرجل مشرقي ، وأنّ هذه التُّهم قد تكون خطيرة .

---

(20) للتشريق معاني أخرى كثيرة لا علاقة لها بموضوعنا . فالتشريق هو صلاة العيد . وآيام التشريق هي أيام ثلاثة بعد يوم النحر توضع خلالها لحوم الأضاحي للشمس . انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بيروت 1968 ، مجلد X ، ص 173 ، مادة : شرّ .

(21) انظر ابن عذاري ، المصدر أعلاه ، ص 152 .

فنحن متحققون من وجود قضية تتعلق بركن أساسي من أركان الدين ، وهو الصلاة ، وتسمى " التشريق في الصلاة " .

فقد أشار إليها ابن الفريسي الأندلسي في ترجمته لأحد علماء الأندلس وهو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حمدون الخولاني ، المعروف بابن الإمام ، المولود سنة 305 هـ ( 917 م ) والمتوفى سنة 380 هـ ( 990 م ) (22) .

فبعد أن قام ابن الفريسي بتعداد أساتذة ابن الإمام هذا - والذين نجد من بينهم أبا عبد الله الحشني القيرواني - انتقل إلى ذكر اختصاصاته العلمية وبعض أخباره فقال : « وكان مشهورا باعتقاد مذهب ابن مسرة ، لا يتستر بذلك . وكان مولعا بالتشريق في صلاته » .

فهناك ظاهرة إذن تسمى " التشريق في الصلاة " . ويبدو أن ابن الإمام كان مولعا بها . غير أننا نأسف لاكتفاء ابن الفريسي بإثارة الموضوع دون أي تعليق إضافي حوله . لكن لنسجل وجود عبارة تشريق ، ولنسجل وجودها في مناخ مغاير لمناخ إفريقية ، وفي شأن شخصية غير إفريقية ، وليست لها أية علاقة باتباع رجل قادم من المشرق .

لكن هل في الوله الذي كان يبديه ابن الإمام بالتشريق في الصلاة تهمة ؟ ثم ما هو التشريق في الصلاة في حد ذاته ؟

إننا لم نظفر في هذا الموضوع بأجوبة واضحة ومقنعة تبين لنا ما هو تشريق ابن الإمام . لكننا نميل إلى اعتباره تهمة أو على الأقل نقيسة وأمر لا يرغب فيه . وما يدفعنا إلى ذلك هو أولا معرفتنا بكثب التراجم

---

(22) ابن الفريسي ، تاريخ علماء الأندلس ، مدريد 1892 ، ج I ، رقم 1359 .

وبأسلوبها في تقديم المعلومات وصياغتها . فالمعلومة التي تُقدّم بالكيفية التي قَدّم بها ابن الفرضي معلومته حول ولع ابن الإمام بالتشريق في الصلاة تُعتبر أمراً مميّزاً لصاحب الترجمة ، وهذا التمييز هو عادة أمر مكروه ، خاصة إذا ما كان في ميادين خطيرة كميدان الصلاة .

ثم ، ومن ناحية ثانية لا يمكننا التغاضي عمّا يُسجّله ابن الفرضي من اعتقاد لابن الإمام في مذهب ابن مسرّة ، وعدم تسترّه عن ذلك . ونحن نعرف - وعبرة تسترّ هنا لها دلالتها - إنّ من كانت له مثل هذه الميولات هو شخصيته مشكوك في نقاوة مُعتقدها عند أهل السنّة (23) .

إضافة إلى كلّ هذا ، نحن نعلم أنّه وُجِدَت بالفعل قضية في الأندلس - لا ندري هل هي المقصودة في ترجمة ابن الإمام أم لا ؟ - تُشير موضوعاً اسمه التشريق في الصلاة ؛ وهي قضية انحراف القبلة في مساجد هذه المنطقة وفي مقدّماتها قبلة الجامع الكبير بقرطبة .

فقد ثبت عند أهل الأندلس ، سواء منهم الفقهاء أو أهل الحساب ، أنّ قبلة جامعيهم مُنحرفة إلى جهة الغرب كثيراً ، ودفعهم ذلك إلى حيرة كبيرة كادت أن تُفضي بالحكم المستنصر (350 / 961 - 365 / 976) إلى اتخاذ مبادرة لتصحيح الوضع وذلك بتحويل قبلة الجامع ؛ لكن الفقهاء أفتوه بإمكانية التخلّي عن ذلك لاعتبارات مختلفة من أبرزها وجوب الإتيان لما سار عليه عدد من كبار أئمة الأندلس منذ فتحها إلى ذلك التاريخ إذ صلّوا في ذلك الجامع رغم انحراف قبلته (24) .

(23) انظر حول ابن مسرّة : E I 2, T III; p. 892 : Ibn Masarra (R. Arnaldez) .

(24) انظر القفري ، نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت 1968 ، ج I ، ص 561 و 562 .

فلا عجب عندئذ إن وُجد في الأندلس من كان شديد التّحرّي في صلاته وفي تحديد قبلته بدقّة أكبر وذلك بالتشريق في الصلاة ، أي الميل الى ناحية المشرق ليقع تجبّب الإنحراف إلى الغرب ، وقد يكون ابن الإمام الذي ترجم له ابن الفرضي - من تلك الفئة ، وربما كذلك ابن مسرّة .

ونحن متأكّدون من أنّ فئة من هذا النّوع وُجدت بالفعل في الأندلس وكانت تخرص على الإنحراف في صلاتها إلى جهة المشرق حتى بداخل المساجد وأمام المحاريب نفسها .

فقد خلّد لنا الونشريسي في كتاب " المعيار المغرب " نصّ مسألة من هذا القبيل وُجّهت إلى الفقيه أبي القاسم بن سراج قاضي الجماعة بقرنطة ومفتيها ، المتوفى سنة 838 هـ / 1436 م ، يسأل فيها صاحبها عن مدى صحّة صلاة إمام « ينحرف بداخل المحراب لجهة الشرق انحرافا كثيرا ، وهل يسوغ ذلك ، وهل يلزم المأمومين اتّباعه في ذلك وينحرفون معه ؟ » وكان جواب القاضي ابن سراج بعدم جواز ذلك ؛ وبالتالي لا يجوز اتّباع ذلك الإمام وتقليده لما في علمه من خروج عمّا أجمع عليه العلماء قبله (25) .

فالأقرب إلى الظن أنّ تشريق ابن الإمام هو من هذا النّوع ، وهو بالتّالي جُرّحة وخروج عن الإجماع ؛ هذا فضلا عمّا يمكن أن نعتقده من أنّ ولعه ذلك كان اقتداء بشيخه ابن مسرّة .

هل وُجدت قضية من هذا النّوع في إفريقية ، وهو ما يفتح أمامنا بابا للتساؤل عن وجود احتمالات أخرى لمقاصد أهل السنّة وهم يتشبّهون

---

(25) الونشريسي ، المعيار المغرب ، بيروت 1981 ، ج I ، نوازل الصلاة ، ص 117 . وابن سراج هو أبو القاسم محمد بن محمد ، توفي سنة 838 هـ / 1436 م . (انظر مخلوف ، شجرة النور الزكية ، رقم 893 ، ص 248) . وقشد آثار جوابه اعتراض فقيه آخر ، وهو ما دفع بابن سراج إلى جواب جديد . انظر ، الونشريسي ، نفس الإحالة .

بعبارة " تشريق " لنعت الانضمام إلى آراء الفاطميين ؟ إن إجابتنا ستكون بنعم ، بل وُجِدَت قضيتان لا قضية واحدة مما يفتح بابا للتساؤل عريضا .

فقد أثير موضوع من هذا القبيل بالنسبة لجامع القيروان ، وإثارته كانت في العهد الفاطمي بالذات ؛ وهو ما يشير إليه نصّ - أتساءل إذا لم يكن الوحيد الذي نمتلكه في هذا الموضوع - يقدمه صاحب كتاب " الاستبصار " <sup>(26)</sup> ويقول فيه أن المعزّ لدين الله الفاطمي أزمع سنة 345 هـ (956 م) على تحريف قبلة مسجد القيروان ، أي عمليا بتحويل محرابه <sup>(27)</sup> .

إنّ صاحب هذا النصّ لم يذكر اتجاه التحريف الذي أراده المعزّ غير أنّه لا يمكن أن يكون إلّا نحو الشرق . فالخطأ الشائع هو انحراف المساجد نحو الجنوب والغرب ، إذ القضية ليست خاصة في الواقع بجامع القيروان أو جامع قرطبة ، بل هي عامّة تقريبا لكل مساجد إفريقية وبلاد المغرب . فقد أبرزت دراسة قام بها M. E. Bonine بالنسبة لمساجد المغرب الأقصى انتشار هذا الخطأ ، ودعّم بحثه بصورة تبيّن ذلك وتُعطي درجات الانحراف في مساجد مختلف جهات ذلك القطر <sup>(28)</sup> . كذلك

---

(26) هو كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار لمؤلف مجهول لكنّه وضع كتابه في عهد المنصور الموحدي وكان عارفا بأحوال إفريقية وزيارته لها مؤكّدة . وقد دخل المنصور إفريقية وحصاره لقفصة حادثة تاريخية معروفة وكان ذلك سنة 583 هـ . وقد نشر سعد زغلول عبد الحميد كتاب الاستبصار (الاسكندرية 1958) لكن الكتاب في حاجة إلى اهتمام أكبر من طرف الباحثين يزيّد في إبراز قيمته .

(27) مجهول ، الاستبصار ، نشر سعد زغلول عبد الحميد ، الاسكندرية 1958 ، ص 114 .

(28) Michael E. Bonine , " The sacred direction and city structure : a preliminary analysies of the islamic cities of Marocco " , *Muqarnas*, vol. VII, 1990, p. 50-72

وانظر حول موضوع القبلة بصفة عامة :

David A. King, " the sacred direction in Islam " , *dans Interdisciplinary science reviews*, vol. X, N° 4, 1985, p. 315 - 328.

الدراسات الحديثة التي اعتنت بجامع القيروان فهي الأخرى قد أثبتت وجود انحراف نحو الجنوب وقدّرت به 31 درجة <sup>(29)</sup> . ف " الإصلاح " لا يمكن أن يكون إلاّ بتحويل قبلة الجامع نحو الشرق أكثر فالمعزّ أراد إذن التّشريق فيها .

إنّ هذا التّحويل لم يُكتب له أن يُجسّم عمليا من طرف المعزّ وهو ما تحدّث عنه صاحب النّصّ المشار إليه <sup>(30)</sup> . والمؤلّف لم يذكر مصدره في هذا الموضوع . فهو من رجال النّصف الثّاني من القرن السّادس الهجري . الثّاني عشر ميلادي . ونحن ولا شكّ لا نخطئ إذا ما اعتقدنا أنّه ينقل أحد مؤلّفين اثنين : إمّا ابن الرّقيق القيرواني ، مؤرّخ العصر الزيّزي المتوفى بعد سنة 418 هـ / 1027 <sup>(31)</sup> . إذ قد ذكر اسمه قبل أسطر قليلة من نصّنا واعتمد عليه في الحديث عن بناء القيروان من طرف عقبة بن نافع الفهري . أو محمد بن يوسف الورّاق القروي المتوفى سنة 363 / 973 ، وهو المؤرّخ الجغرافي المعاصر للدولة الفاطمية والذي أعتمدت كتاباته الكثيرة حول إفريقية وبلاد المغرب من طرف جلّ المؤرّخين والجغرافيين بعده <sup>(32)</sup> .

وقد فسّر صاحب كتاب " الإستبصار " - معتمدا على المصدر الذي نقل عنه - عدم النّجاح الذي حالف مشروع المعزّ بقوة الرّعاية التي

---

(29) انظر حول انحراف قبلة جامع القيروان :

P. Sebag, *La grande mosquée de Kairouan*, Paris 1963, p.19.

كذلك محمد الطالبي ، « البيئة التي أنشأت سحنون » ، دراسات في تاريخ إفريقية ، منشورات الجامعة التونسية ، تونس 1982 ، ص 121 .

(30) الإستبصار ، نفس الإحالة .

(31) انظر حوله : E. I. 2, T. III, p. 927 : Ibn al-Rakik, (Md Talbi :

(32) انظر حوله : A. Ferré, " Les Sources du Kitab al-masalik wa - l - mamalik d'Abu

Ubayd al Bakri, IBLA, 1986, N° 158, p. 199 - 200.

كانت تحيط بهذا الجامع بفضل بركة الدّعاء الذي أحاط به عقبة بن نافع هذه المدينة منذ تأسيسها وتأسيس جامعها . فحال كل ذلك دون تحقيق المعزّ لتحريف القبلة . وروى لنا صاحب " الاستبصار " كيف تمّ كل ذلك (33) .

ونحن نتوقّف هنا لنتساءل ما إذا لم تكن مبادرة المعزّ هذه هي التي كانت وراء ظهور الإعتقاد . إن لم نقل الأسطورة . في أنّ محراب مسجد القيروان هو من إنجاز عقبة بن نافع ، وأنّ كل من هدم الجامع . على حدّ عبارة المصادر التي نقل عنها كتاب " الاستبصار " ، وهو يقول أنّه هُدم وبُني ثلاث مرّات . كان يُبقي على المحراب ، محراب عقبة ؛ في حين تؤكد الدّراسات الأثرية الحديثة أنّ المحراب الموجود إلى الآن . وبالتالي الذي وُجد في العصر الفاطمي . هو المحراب الأغلبي ، وأن لا شيء يؤكّد بناء عقبة لمحراب ما ، بل إنّ عادة بناء المحاريب نفسها في المساجد استقرّت بعد عقبة (34) .

ومّا لا شكّ فيه أنّ مشروع المعزّ وجد ردّ فعل عنيف من طرف أهل السّنة وأنّ دعاية كبيرة نظّمت ضده ، ذلك أنّه بقطع النّظر عن أنّ المبادرة متأتية من طرف " سلطان - عدوّ " ، كلّ مبادراته مرفوضة من الأساس ، فإنّ العملية خطيرة في حدّ ذاتها من منظور أهل السّنة . وترفض حتّى وإن كان السلطان سنيّا ، كما سيكون الشّأن فيما بعد في عهد المستنصر الأموي بالنسبة لجامع قرطبة ؛ بل هي أخطر بالنسبة لجامع عقبة لأنّها - ودائما من منظور أهل السّنة - لا تقف فقط ضدّ عمل سلف صالح بل ضدّ عمل صحابي . وعمل الصحابي عند البعض حجة .

---

(33) الاستبصار ، نفس الإحالة .

(34) انظر حول هذا الموضوع ،

F. Mahfoud, - " L'introduction du Mihrab en Ifriqiya et son évolution jusqu'au XI è s " . IBLA, N° 168, 1991 - 92, p. 263 - 279.



فالمعزّ أراد تحويل قبلة وضع عقبة محرابها وذلك بالتشريق فيها .  
فالدعوة إلى ذلك التشريق تهمة ومساندتها هو تأييد للفاطميين . فهل أنّ  
ذلك هو ما يفسّر تشبّث أهل السنّة بهذه العبارة واستعمالها في الإشارة  
إلى الإنضمام إلى آراء الفاطميين بصفة عامة ؟

إنّ ذلك جائز رغم وجود إشكال قد يظهر لنا عند التذكير بأنّ  
مبادرة المعزّ كانت سنة 345 هـ أي بعد خمسين سنة من استقرار  
الفاطميين بإفريقية ، في حين أنّ في كلام الخشنّي عنهم - وهو المعاصر  
لهم كما بيّنّا - ما يُفيد أنّ العبارة تشبّث بها أهل السنّة قبل هذا التاريخ .

إنّ التغلّب على هذا الإشكال ليس بالعيّص . فمن المقبول جدّاً أن  
نحتمل أنّ طعن الفاطميين في قبلة جامع القيروان وعزمهم على التشريق  
في الصلاة لتصحيحها ، وبالتالي دفع النّاس إلى ذلك التشريق ، كل ذلك  
قد ظهر منذ أن دخلوا القيروان سنة 296 هـ . فإنّ أهمّ دعاية يُهاجمون  
بها الأغلبية وأنصار السنّة كانت ولا شكّ إبراز انحراف قبلتهم وبالتالي  
الإشارة إلى عدم صحّة صلاتهم حتى ذلك التاريخ ، ثم أراد المعزّ تجسيم  
ذلك التصحيح بتشريق القبلة وتحويل المحراب . فالقبح في صلاة الأنظمة  
المنهارة وفي صحّة المساجد التي تقيمها أمر قد تكرر كثيرا عبر التاريخ  
ولجأت إليه الأنظمة التي تعوّضها (35) .

(35) من أبرز المبادرات في هذا الموضوع نذكر تلك التي صاحبت سيطرة الموحدّين على  
مدينة مراكش سنة 541 هـ وافتكاكها من المرابطين الذين كانوا المؤسسين لها . يقول  
صاحب الخلل الوشيّة في ذكر الأخبار المراكشيّة في هذا الموضوع : « وبقيت  
مراكش ثلاثة أيام لا يدخلها داخل ولا يخرج منها خارج ، وأبى الموحدّون دخولها لأنّ  
المهدي كان يقول لهم : لا تدخلوها حتى تطهروها . فسأل الموحدّون الفقهاء عن ذلك ،  
فقالوا لهم : تبنون انتم مسجدا آخر مكان ذلك . فبنى الخليفة عبد المؤمن بدار الحجر  
مسجدا آخر جمع فيه الجمعة وشرع في بناء المسجد الجامع وهدم الجامع الذي كان  
أسفل المدينة الذي بناه عليّ بن يوسف [ أمير المرابطين ] . مجهول ، الخلل ، الدار  
البيضاء ( المملكة المغربية ) 1979 ، ص 144 .

فالإحتمال الذي ذهبنا إليه قوي ويكون الفاطميون على أساسه قد حملوا الناس على التشريق - أي التشريق في الصلاة - كما حملوهم على " حي على خير العمل " في الأذان منذ استقرارهم ، وليصبح الانضمام إلى دعوتهم مَرغما حتما على التشريق في الصلاة ، ويصبح التشريق في الصلاة دلالة على الانضمام إلى دعوتهم . فهذا الاحتمال مُقنع أكثر لتفسير تشبث أهل السنة بهذه العبارة ونعت الدعوة الفاطمية " بالتشريق " .

غير أن الإكتفاء بذلك قد لا يُعطي تفسيراً كاملاً لهذا التشبث . فلئن أعلن الفاطميون التشريق في الصلاة وتمسكوا به فهو لتصحيح خطأ لا شك أنهم نجحوا في إثباته . فرميتهم بالتشريق على أنه تهمّة قد لا يُقنع الكثيرين عندئذ . لذلك توقفتُ كثيراً عند نصّ يُثير قضية أخرى - وهي القضية الثانية التي أشرت إليها أعلاه - أعتقد أنه لا يمكن إغفالها في الموضوع الذي نبخته ، وقد ورد عند ابن عذاري المراكشي في كتابه " البيان المغرب " .

يقول ابن عذاري حول أحداث سنة 309 هـ ( 921 م ) ، أي سنة بعد انتقال عبيد الله المهدي ، أول الفاطميين ، إلى المهديّة واستقراره بها كعاصمة للدولة الجديدة : « وفيها أمر عبيد الله بحبس نحو مائتي رجل أظهرُوا التشريق بالقيروان وباجة وتونس ، وجأهروا بتحليل المحرّم وأكلوا الخنزير وشربوا الخمر في رمضان جهاراً وعلم بذلك الخاصّ والعام .. وكثر القول من الناس في هذا . فكتب عبيد الله إلى عمّاله بهذه المواضع بأن يرفعهم إليه مقيدّين ثم حبسوا . فمات أكثرهم بالسجن وكلّهم مشهور بإفريقية ، منهم أحمد البلوي النخّاس بالرقّيق ؛ كان يصلّي إلى رقادة أيام كون عبيد الله بها ، وهي منه في المغرب . فلما انتقل عبيد الله إلى المهديّة وهي منه في المشرق ، صلّى إليها . وكان يقول : لست بمن يعبد من لا يرى » ( 36 ) .

(36) ابن عذاري ، المصدر المذكور ، ص 185 - 186 .

ففي سنة 309 هـ / 921 م ، والدولة الجديدة تعيش طفرة نشأتها ، إذ لم يتجاوز وجودها عقده الأول إلاّ بيسير ، يذكر نصّنا هذا أنّ عددا من المغالين الشيعة ، ممن كان يتوجّه في قبلته إلى رقادة حيث كان الإمام الفاطمي ، ارتأى تغيير هذه القبلة إلى المهديّة حيث انتقل . فهذه المجموعة قد شرّقت ، بما أنّ المكان الجديد هو منها إلى الشرق أكثر .

ولنُسجّل هنا العبارة التي بدأ بها ابن عذري نصّه . فهو قد ذكر أنّه في السنّة المعنيّة أمر عبيد الله بحبس نحو مائتي رجل " أظهروا التشريق " . فعبارة " أظهروا " أساسيّة في الموضوع الذي نبهته وهي تحتل أحد أمرين :

فأمّا أن يكون التشريق في حالة اختفاء فأظهرته هذه المجموعة . وهو أمر نرفضه إذا ما قلنا أنّ التشريق كان آنذاك . أي سنة 309 هـ . في معناه الأول أي اتّباع رجل مشرقي . فهو قد ظهر بعد ، بما أنّه منتصر منذ ما يفوق العقد .

وأما أن نقول أنّ التشريق أمر آخر قد أظهره البعض ، وعندئذ يكون نص ابن عذاري مفسّرا لمعناه ، وهو توجّه البعض في صلاتهم نحو المهديّة كقبلة لهم حيث استقرّ المهدي .

إنّنا إذا رجحنا هذا الإحتمال الثاني أصبح بالإمكان أن تكتمل لدينا خيوط عمليّة دعائية تميل إلى الاعتقاد أنّ أهل السنّة قد نظّموها ضدّ الشيعة . فبالأكيد على هذا التشريق نحو المهديّة يُعطى مفهوما آخر للتشريق في الصلاة الذي دعا إليه الفاطميون تصحيحا لقبلة جامع القيروان ، ليقع خلط في الأذهان تُصبح بواسطته عبارة تشريق موحية فعلا بتهمة خطيرة بإمكانها ، لا فقط أن تقترب بعبارات الكفر والمروق عن الدين ، بل أن تكون كافية لوحدها للدلالة عليهما .

إنّه لا يفوتنا بالطبع الاحتراز الذي لا بدّ أن نلتزم به إزاء مصدر سنّي يتحدّث عن الشيعة ؛ غير أنّ كتاب ابن عذاري يبقى أحد مصادرنا الأكثر جدّيّة ، ورغم احتوائه في موضوع الحديث عن الشيعة على شاعات لا يختلف اثنان في رفضها <sup>(37)</sup> ، فإنّ ذلك لا يُنقص البتّة من قيمته . فهو لم يخلطها بل نقلها عن مصادر ، منها ما هو معاصر للفترة الشيعية كإبراهيم بن القاسم الرقيق ، المشار إليه في الأسطر السابقة <sup>(38)</sup> ؛ ومنها ما كان قريبا منها زمنيا كتاريخ محمد بن سعدون القروي المتوفى سنة 486 هـ / 1093 م <sup>(39)</sup> . فابن عذاري قد أوصل لنا صورة عن الأجواء الدّعائية التي كانت سائدة بين الفريقين بتسجيله لتلك " المعلومات " ، وهو الأساس بالنسبة لموضوعنا .

ومع ذلك لا شيء يمنع من الإعتقاد في أن يكون ما تحدّث عنه ابن عذاري في نصّه قد وقع فعلا . فنحن على يقين تام من وجود مغالين شيعة لا يُستبعد قيامهم بمثل تلك المبادرة . فوجودهم تُقرّه لا فقط المصادر السنّية ، بل وكذلك المصادر الشيعيّة نفسها .

فقد أوردت لنا المصادر السنّية أسماء العديد من هؤلاء المغالين ، وقدمت لنا أمثلة من معتقداتهم الدّالة على ذلك . فقد حدّثنا الخشني مثلا عن دخول الفقيه زرارة بن أحمد في المذهب الشّيعي فقال أنّه « شرق ، فولّاه عبيد الله قضاء المهديّة » ثمّ أضاف في شأنه أنّه كان « في مذهب الشيعة من الغالين (كذا) » <sup>(40)</sup> .

(37) نفسه ، بداية من ص 281 مثلا .

(38) نفسه ، ص 217 مثلا .

(39) نفسه ، ص 217 ، وخاصة ص 281 ، وحول ابن سعدون القروي انظر : القاضي عياض ، المصدر المذكور ، ص 799-800 .

(40) الخشني ، المصدر المذكور ، ص 226 .

كما حدّثنا المالكي عن شخصيّة سنيّة ذات وزن دخلت كذلك في المذهب الشيعي ، وهو ابن غازي الفقيه المتعبّد ، وأضاف في شأنه قائلا « كان في جملة النّفَر الذين قالوا لعبيد الله : أنت أنت » <sup>(41)</sup> . هذا فضلا عمّا نقله ابن عذاري حول مغالاة كتامة عند بداية الفترة الفاطميّة ، إذ ذكر أنّ أيّمانها كانت : « وحق عالم الغيب والشّهادة مولانا المهدي الذي برقادة » <sup>(42)</sup> .

إنّ هذه المغالاة تُؤكّد وجودها كذلك المصادر الشيعيّة كما ذكرنا . ولا أدلّ على ذلك من تلك المواقف الصّريحة التي سجّلتها للخلفاء الفاطميين ضدّ أصحابها ، لاعتقادهم أنّ أولئك المغالين يُلحقون الضرر بالدّعوة أكثر من إفادتها ، وهو ما يلتقي مع ما تحدّث عنه ابن عذاري في النصّ الذي نهتمّ به حول الإجراءات التي اتخذها المهدي ضدّ من ذكر أنّهم " اظهروا التشريق " .

فقد استعرض القاضي النعمان في كتابه " المجالس والمسايرات " مجلسا له مع المعزّ لدين الله تناول قضية رجل قال إنّّه « ألحد في أولياء الله وغلا في دينه ، وقد كان قلّد شيئا منه وناله بسبب ذلك من سخط الأئمّة ما نعوذ بالله منه » <sup>(43)</sup> .

كما أورد النعمان بعض التّعليق للمعزّ حول هذا الموضوع ، منها قوله : « والله ، ما يُريد بنا من زادنا على حقّنا الذي منّ الله تعالى به علينا إلّا وضعنا » <sup>(44)</sup> . وكذلك قوله : « سمعتُ القائم بأمر الله عليه السّلام

(41) المالكي ، المصدر المذكور ، ص 506 .

(42) ابن عذاري ، المصدر المذكور ، ص 160 .

(43) القاضي النعمان ، المجالس ، ص 419 .

(44) نفسه ، ص 420 .

(أي جدّه) يقول : إنّما أراد الدّعاة إلى النّار الذين انتسبوا إلينا بما نحلّونا  
إيّاهم . أنّا نعلم الغيب وما تجنّ الصّدور ، وأشباه ذلك بما افتروه علينا  
ونسبوه إلينا . أن يجعلوه عدّة لنفاقهم » (45) .

ولا بدّ أن نسجّل في هذا الموضوع أنّ الغلوّ في شأن الأئمّة  
والسلّاطين لم ينحصر عند الشّيعة فقط بل سجّلته لنا المصادر في شأن  
خلفاء أهل السنّة وسلّاطينهم كذلك . فأبو جعفر المنصور وجّد المغالين له  
في طائفة الرّواندية وغيرها . فطافوا بقصره . كما ذكر الطبري . (46)  
وقالوا له تقرّيباً ما قاله ابن غازی المتعبّد لعبيد الله الشّيعي ، أي : " أنت  
أنت " . إذ عندما أطلّ عليهم المنصور قالوا : « هذا ربّ العزّة ، هذا الذي  
يُطعمنا ويسقينا » . بل إنّنا إذا اعتمدنا الطّبري دائماً نسجّل أنّ موقف  
المنصور كان أقلّ استنكاراً بكثير من موقف عبّيد الله لمثل ذلك التّصرّف .  
فعندما كلّم المنصور في أمرهم ، أجاب : « يُدخلهم الله النّار في  
طاعتنا ... أحبّ إليّ من أن يُدخلهم الجنّة بمعصيتنا » (47) .

فالغلوّ في أمر الأئمّة قد وُجد : وما نقله ابن عذاري حول تشريق  
عدد من الشّيعة بتحويل قبلتهم نحو المهدية ليس بالمستبعد بالمرّة . .

---

(45) نفس الإحالة .

(46) الطبري ، تاريخ الامم والملوك ، نشر محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت  
1965 ، ج VII ، ص 505 .

(47) نفس المصدر ، ص 507 .

## خاتمة :

إنّ عملنا قاداته فكرة تُفرّق بين ظهور عبارة " تشرق " ، مشتقاتها (" تشرق " ، " مشارقة ") من ناحية ؛ وبين تشبّث أهل السنّة بهذه العبارات واستعمالهم لها من ناحية ثانية .

فمن ناحية ظهورها يكون الخطأ المنهجي جسيما إذا ما أغفل الباحث التفسير الذي أورده القاضي النعمان لهذه العبارات والذي تردّد عند ابن عذاري نفسه .

لذلك نميل إلى الاعتقاد في أنّ هذه العبارات قد استعملت بالفعل في منطلقها لنعت أناس اتبعوا رجلا مشرقيا - هو أبو عبد الله الصنعاني - وذلك عندما كانت الدّعوة في بدايتها وفي وسطها الأوّل ، ونعني الوسط الکتامي .

كما نعتقد أنّه لا توجد أيّة ضرورة تدفعنا إلى الإعتقاد في أنّها عبارات كانت تحمل منذ بداية إطلاقها شحنة العداء والكرهية التي ستكون لها فيما بعد في ذهن مستعملها .

بل ليس من المرفوض أن نعتقد بأنّ الدّاخلين في الدّعوة هم الذين أطلقوها على أنفسهم لما فيها من إحياءات إيجابية أشرنا إلى البعض منها في بداية هذا العمل ؛ أو كذلك للتعمية حتى لا يقع الإفصاح عن التوجّهات الحقيقية للحركة .

أمّا تشبّث أهل السنّة بتلك العبارات فنعتقد أنّه قد تمّ أولا لأنّها وُجدت ملائمة للتشهير بالفاطميين وللتذكير بخروجهم عن إجماع المسلمين وعن سنّة الاتّباع بسبب ما دعوا إليه من تحريف لقلبة جامع القيروان وذلك بالتّشريق فيها ؛ ثمّ ، وثانيا ، لأنّها وُجدت ملائمة لاستغلال قضية بإمكانها ، لا فقط أن تؤكّد " كفر " الشيعة و " خروجهم

عن الدين " ، بل وفي نفس الوقت أن تولّد مُغالطة في موضوع التشريق هذا - والذي يُصحّ خطأ لا يمكن لأهل السنّة إنكار وجوده - وذلك بالإيهام بأن ما يدعو إليه الفاطميون هو تشريق نحو المهدية وليس إلى القبلة الحقيقية .

ونعتقد في النهاية أنّه مهما كانت الخلفيات الكامنة وراء تشبّث أهل السنّة بتسمية دعوة الفاطميين الشيعة " بالتشريق " ، ونظرا لتلك العلاقة العدائية بين الطرفين ولذلك الجو الدعائي المتوتر بينهما - والذي نلمس مظاهر مختلفة له في كتابات كل طرف - لا يمكن لذلك التّشبّث أن يكون إلّا لأنّ تلك التسمية ترميهم بتهمة ، أو بنقيصة ، أو بأمر ما هو سلبي في نظر أهل السنّة .